بسم الله الرحمن الرحيم

بينما النبيُّ ﷺ جالسٌ في بيتِه مع زوجه عائشةَ رضيَ اللهُ عنها؛ إذ جاءت امرأةٌ تشتكي زوجَها الذي ظاهَرَ منها-أي قال لها: أنتِ عليَّ كظهرِ أُمِّي-وعائشةُ في ناحيةٍ من الحُجرةِ تسمعُ بعضَ كلامِها، ويخفى عليها بعضُهُ، تقول المرأة: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ لَهُ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ))

وما هيَ إلا لحَظاتٌ، حتى نَزَلَ جبريلُ عليهِ الصلاة والسلامُ بالوحيِ، فتلا قولَه تعالى:{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[المجادلة: ١]، وهنا تعجَّبت عائشة رضي الله عنها فقالت: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ! إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)).

حديث نثبت منه إثبات صفة السمع لله تعالى، وسِعَ سمعُه الأصواتَ، يَسمَعُ كُلَّ خلقِه في آنٍ واحِدٍ، يَسمعُ السِّرَّ والنَّجوى وما هو أخفى، يَسمعُ ضجيجَ الأصواتِ، باختلافِ اللُّغاتِ، على اختلاف الحاجاتِ، لا يَشغلُه سَمعٌ عن سمعٍ، ولا يَختلِطُ عليه صوتٌ بصوتٍ...ففي الحديث القدسي: ((يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألتَه، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ))، نعم يَسمعُ دبيبَ النَّملةِ السَّوداءِ، في اللَّيلةِ الظلماءِ، على الصَّخرةِ الملساءِ... ما من مخلوقٍ إلا يُسبِّحُ بحمدِه-الملائكةُ والإنسُ والجنُّ والطَّيرُ والوَحْشُ- حتى الصُّخورُ والحصى، يَسمعُ تسبيحَها بقُدرتِه:{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[الإسراء: ٤٤]

*يصفُ نفسَه سبحانه وتعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى: ١١]أمّا ما سواهُ من الأندادِ الباطلةِ، وصفهم سُبحانَه:{ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}[فاطر: ١٣-١٤]

*إبراهيمُ عليه السلام يقول لأبيهِ الذي يَعبُدُ الأوثانَ:{يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}[مريم: ٤٢]،وقال لقومِه المشركينَ باللهِ، يَعيبُ أصنامَهمْ:{هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ}[الشعراء: ٧٢]

*سمعَ يوسفَ عليهِ السلامُ يدعوهُ:{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[يوسف: ٣٣-٣٤]

*يأمرُ موسى وأخاهُ هارونَ عليهما السلامُ بالذَّهابِ إلى فرعونَ، فيتسلَّلُ إليهما شيءٌ من الخوفِ من طُغيانِ فرعونَ، فيقولان:{رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[طه: ٤٣-٤٦]يزرع في قلبيهما الطُّمأنينة.

*سمعَ نداءَ زكريّا عليهِ السلامُ معَ خفائِه، قال سبحانه:{ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا}[مريم: ٢-٤]

*سمعَ نبيَّهُ يونسَ عليهِ السلامُ يُناديهِ في الظُّلماتِ قائلًا:{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}[الأنبياء: ٨٧-٨٨].

يخرجُ صلى الله عليه وسلم إلى الطائفِ يدعو أهلَها إلى التَّوحيدِ، فيَعْتَدُونَ عليه في أشدِّ يومٍ مرَّ عليه، فيجلس داعيا:((اللَّهمَّ إليكَ أشكو ضَعفَ قوَّتي، وقلَّةَ حيلَتي، وَهَواني علَى النَّاسِ...أنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ، أنتَ ربُّ المستضعفينَ، وأنتَ ربِّي إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجَهَّمُني أَمْ إلى عدُوٍّ ملَّكتَهُ أمري، إن لم يَكُن بِكَ غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ هيَ أوسعُ لي...أعوذُ بنورِ وجهِكَ الَّذي أشرَقت لهُ الظُّلماتُ، وصلُحَ علَيهِ أمرُ الدُّنيا والآخرةِ، أن يحلَّ عليَّ غضبُكَ، أو أن ينزلَ بي سخطُكَ. لَكَ العُتبى حتَّى تَرضى، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بِكَ)) فإذا بجبريلَ عليه السلام يناديهِ قائلًا: إِنَّ اللهَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قال صلى الله عليه وسلم: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهَّ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).

*وأنتَ وأنا تُحيطُ بنا الشَّياطينُ، ولا نَجاةَ لنا من نَزَغاتِهم إلّا أنْ نستعيذَ باللهِ السَّميعِ العَليمِ، قال تعالى:{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[فصلت: ٣٦]

ثِق أنَّكَ إنْ عُذْتَ بِهِ فسيكفيكَ؛ لأنَّهُ القائلُ:{فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهَّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[البقرة: ١٣٧]

*عندمَا تقومُ بين يدَي ربِّكَ، تؤمِنُ أنَّك تُناجيهِ، فيسمَعُكَ ويرُدُّ عليك؛ فهل هناك أعظمَ من ذاك الأُنس بربِّ العالمينْ، قال تعالى في الحديث الإلهي: ((قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)).

*وفي حديث آخر يقولُ صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذْ قَالَ(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ....من آثار امتلاء القلب باستحضار اسم الله السميع:

١-لجم اللسان عن الآثام؛ من الغيبة واللعن وفحش الكلام وغيرها فكلماتك يسمعها الله سبحانه!

٢-من آثار الإيمان باسم الله السميع: الترغيب على صلاة الليل وترتيل كلام الرحمن قال تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]

٣-من آثار الإيمان باسم الله السميع: الحياء من الله أن يتلفظ العبد بالفحش والعصيان.

٤-ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم: الصدق عند الحديث واجتناب الكذب!

٥-من آثار الإيمان باسم الله السميع واستحضاره: خفض الصوت عند الدعاء، ها هوَ صلى الله عليه وسلم في بعضِ أسفارهِ يسمعُ أصحابهُ يرفعونَ أصواتهم بالتَّهليلِ والتَّكبيرِ فيقولُ لهم: ((أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ))، فلا تحتاجُ أن تَصرُخَ ليَسمَعَ صوتَك؛ فمتى ناجيتَه أجابَك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين